

الغول والعنقاء والخلّ الوفيّ و.... القراءة

د. هنادا طه – تامير:

أستاذة ومديرة قسم اللغة العربية في المركز الوطني لمصادر اللغات في جامعة سان دييغو في كاليفورنيا واختصاصية في طرق تدريس اللغة العربية ومديرة شركة عرب اكسبرتييز للاستشارات التربوية.

مقدّمة:

تقول العرب بأنّ المستحيلات ثلاثة وهي الغول والعنقاء والخلّ الوفيّ فهل تكون القراءة المستحيل الرابع في عالمنا العربيّ؟ فقد كثر الحديث والتوكيد بأنّ الأمة العربية أمة لا تقرأ وإن قرأت فلا تحلّل وإن حلّلت فالتحليل في معظمه لا بدّ منقول وهزيل. وقيل قديماً بأنّ الشعوب التي تتوقع أن تكون جاهلة وحرّة ومتحضّرة في الوقت نفسه فإنّها تسعى إلى ما لم يكن ولن يكون. والقراءة للطفل يجب أن تبدأ من اليوم الأوّل لولادة الطفل وهناك من يؤكّد بأنّ القراءة يجب أن تبدأ قبل الولادة وتستمر إلى أن يصبح الطفل منقناً للقراءة وقادراً على الاستمتاع بالقراءة المستقلّة مدى الحياة.

هل نحن أمة لا تقرأ؟ اشكاليات ومعادلات حسابية:

فلنبدأ أوّلاً بتعريف القراءة: القراءة عملية ذهنية معقّدة للحصول على معاني النصوص المكتوبة وتتطلب القراءة ما يلي:

- 1- المهارات والمعارف اللازمة لفهم ارتباط أصوات الحروف أو الصوتيات ببعضها البعض في الكلمة الواحدة وفي النص.
- 2- القدرة على تهجئة وفك رموز الكلمات الصعبة أو الكلمات غير المألوفة.
- 3- القدرة على القراءة بطلاقة.
- 4- خلفية ثقافية كافية وحصيلة لغوية تساعد القارئ على فهم ما يقرأ.
- 5- تطوير مجموعة استراتيجيات تساعد القارئ على اكتشاف المعاني فيما يقرأ.
- 6- خلق الدافعية لجعل القراءة عادة يومية متأصّلة.

أما بالنسبة لإجابة سؤال: "هل نحن أمة تقرأ؟" قد سُئِس وطُرح وُجِع وأُمر (دخل في حيز المؤامرة المستمرة) ودُئِن (دخل في موضوع الدين) بحيث نسمع آراء ترفض المقولة تماما وترفض الأرقام والإحصاءات التي نشرتها منظمة اليونسكو وهي المنظمة الثقافية في الأمم المتحدة. وقد جاء في بعض إحصاءات اليونسكو ما يفيد بأن 50% من النساء العربيات أميَّات وغير ذلك من الإحصاءات التي لا تسرّ عدواً ولا تسرّ حبيباً.

وفي الحقيقة وعلى الرغم من تشعّب الآراء بخصوص هذا السؤال واختلافها وتعقيدها بحسب البعض إلا أنها عملية حسابية بالنسبة لي وللواقع المبني على دراسات وبحوث موثوق فيها. فالمنطق يقول بأنه لإتقان أية مهارة ككرة المضرب أو السباحة أو الجري أو تصليح السيارات أو الطباعة مثلاً لا بدّ لنا من الكثير من التدريب ووضع الوقت اللازم للوصول إلى مرحلة الإتقان وكذا الحال بالنسبة للقراءة. لإتقان القراءة وللحصول على المعارف اللازمة لأي إنسان مثقف فلا بدّ من صرف وقت لا يستهان به في القراءة قد يصل إلى ساعتين يومياً أو أكثر. فكم منّا يقضي ساعتين يومياً بقراءة كتاب من الكتب؟ أو ساعة واحدة؟ أو نصف ساعة؟ أو ربع ساعة؟ أو خمس دقائق؟

يقول مالكولم غلادول في كتابه "بليتك" أو "طرفة عين" (2005) بأنّ كلّ هؤلاء الذين برعوا وصاروا أفضل من في مجالهم كأمثال بيل غيتس وبيل كلينتون ومايكل جاكسون والكثيرين من عمالقة الرياضة في الولايات المتحدة الأمريكية قد أمضوا كلّهم ما يقارب العشر آلاف ساعة في ممارسة ما برعوا فيه. ولا بدّ من أن عمالقة الأدب العربي قد فعلوا الشيء عينه ولا بدّ أن يكون طه حسين ونجيب محفوظ وسهيل ادريس وغازي القصيبي وغيرهم من عمالقة أمّتنا قد انغمسوا في اللغة العربية والقراءة لأكثر من عشر آلاف ساعة على مدى سنيهم. إذا سلّمنا جدلاً بصحّة هذه القاعدة فإنّ الواحد منّا سيحتاج إلى 27.4 سنة لاتمام عشر آلاف ساعة قراءة إن قرأنا لساعة واحدة يومياً ونحتاج إلى 13.7 سنة لاتمام عشر آلاف ساعة قراءة إن قرأنا لساعتين يومياً. هذا طبعاً إذا أردنا أن نصبح عمالقة نمثلك حجم ثقافة العمالقة العرب المذكورين أعلاه. ولكن كم هو عدد الساعات التي يجب أن نقرأ فيها سنوياً كي يقال عنا بأننا "أمة تقرأ"؟ تفيد الإحصاءات التي تقيس الأداء القرائي عند

الطلاب والمأخوذة من أفضل المدارس الأمريكية والتي تميّزت بأداء طلابها القرائي المتقدّم أنها كانت توجب على الطلاب القراءة المستقلّة في كتاب أدبي أو علمي من اختيار الطالب لمدة 30 دقيقة على مدى العام كلّه وليس على مدى العام الدراسي مما يعني أن الطالب يقرأ لمدة 180 ساعة سنوياً. لو ضربنا هذا الرقم بعدد السنوات الدراسية التي يستطيع فيها الطالب أن يقرأ أو يُقرأ له من صف

الروضة والواجب حقيقة أن يُقرأ له من السنة الأولى من عمره (حيث يُقرأ له أهله أو أي شخص كبير في العائلة) وحتى الثانوية العامة أو البكالوريا: 180 ضرب 13 = 2340 ساعة قراءة مستقلة على الأقل. وهنا ستصير القراءة عادة تستمر مدى الحياة.

التلفاز والقراءة

نحن أمة يغيرها السمع المصحوب بالصورة بالدرجة الأولى والدليل هو عدد الساعات التي يقضيها العرب صغاراً وكباراً أمام شاشات التلفاز (أكثر من ستّ ساعات يومياً) والتي تفوق المعدّل العالمي (4 ساعات يومياً). ويؤكّد التربويون وعلماء نفس الأطفال أنّ هناك علاقة عكسية بين مشاهدة التلفاز والقراءة وبين مشاهدة التلفاز والتفوّق العلمي فكلّما زاد عدد الساعات التي يشاهد فيها الأطفال والكبار التلفاز كلما قلّت مدّة القراءة وكلّما زاد عدد ساعات مشاهدة التلفاز كلما وجد الطفل وقتاً أقلّ للعمل على واجباته المدرسية وبالتالي فإنّ هذا يؤثّر على تحصيل الأطفال العلمي وعلى حصيلة الجميع الثقافية. إضافة الى ذلك فهناك عامل آخر ذكره الدكتور بيار شلالا في مقال له نشر في جريدة النهار (شلالا، 2009) يشير فيه: "الى الضرر الذي يسببه هذا الضيف الفارض نفسه ، أو بالأحرى هذا الصديق الحميم جداً والذي (يمون) كثيرا على أولادنا أطفالاً وفتياناً وشباناً ويؤثّر في طباعهم وأخلاقهم وأنماط حياتهم بأفلامه التي تلقن ثقافة العنف وبرامجها التي تخدش براءة تراثنا وعاداتنا وتقاليدينا إلى كل ذلك يبقى التلفزيون أحد المسؤولين عن تردي مستوى اللغة العربية لدى أولادنا... فيسمعون في نشرات الأخبار: استقبل رئيس الحكومة ذوو المعتقلين (والصحيح: ذوي)، وتبين أنّ الوزير الفلاني الغير معني في ملف التعويضات (والصحيح: غير المعني)....".

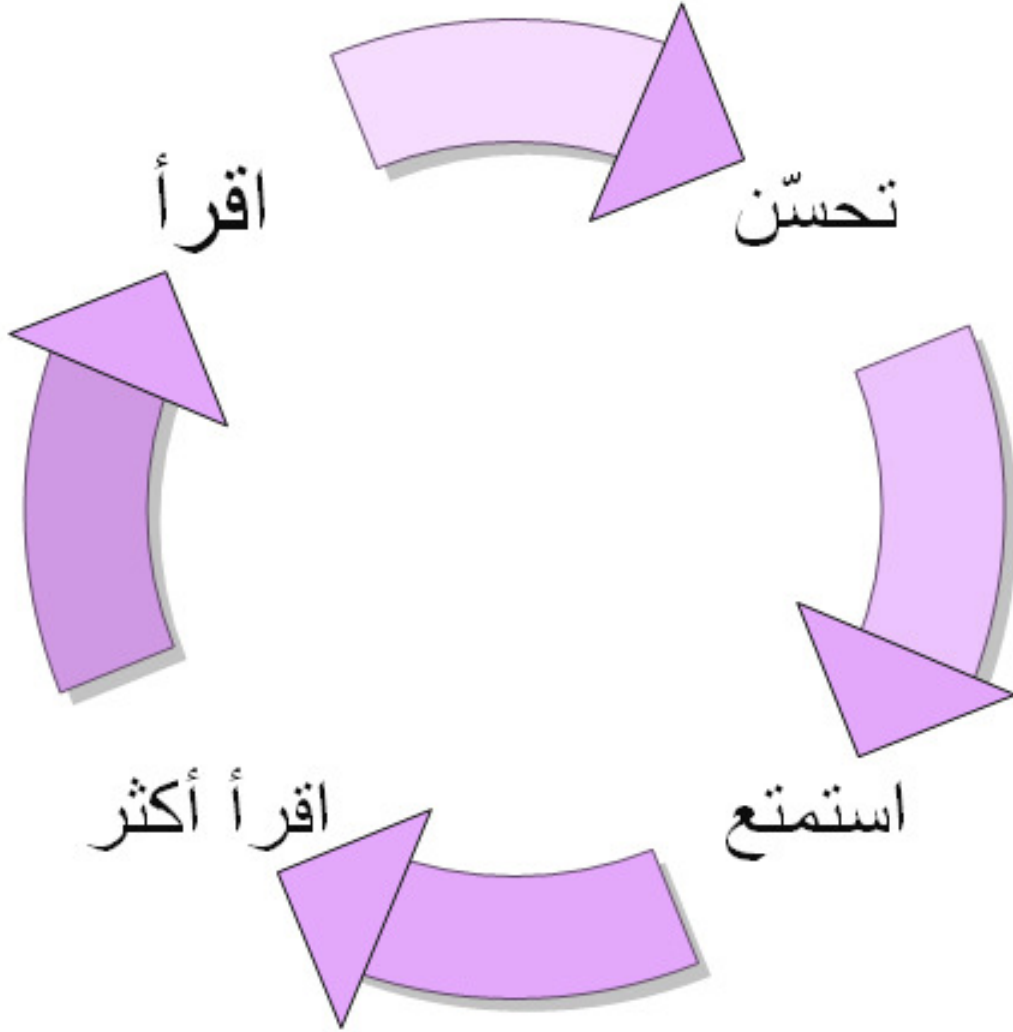
ماذا تقول أبحاث التربوية وأبحاث الدماغ؟

كما تشير الأبحاث الى أنّ قراءة الأطفال للكتب تسهم في نجاحهم الأكاديمي أكثر مما يسهم بذلك مركز ذويهم الاجتماعي أو المادي ولكن الأبحاث تشير كذلك الى أنّ القراءة في رحلة تدنّ مستمر. كما يتفق الخبراء على أنّ النشاط الأهم لبناء المعرفة عند أي شخص (أطفالاً وناشئة وكباراً) هو الانغماس في أنواع القراءة الأربعة: القراءة الجهرية والمشاركة والموجهة والمستقلة.

فالأطفال الذين هم في الرابعة من عمرهم ومن عائلات متعلمة ومثقفة وتكثر من القراءة قد سمعوا في السنين الأربع من حياتهم 45 مليون كلمة، بينما يسمع أبناء الطبقة العاملة 26 مليون كلمة أمّا أبناء الطبقة الفقيرة فيسمعون أقلّ من 13 مليون كلمة في السنوات الأربع.

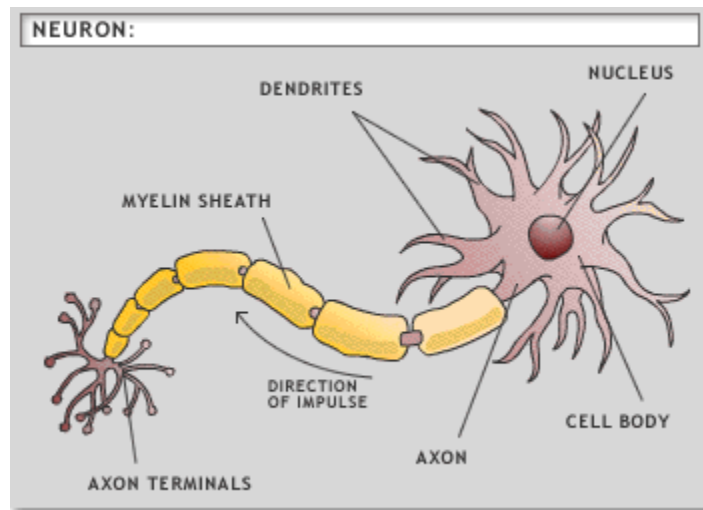
وكثيرا ما يرجع خبراء القراءة الى المعادلة التالية:

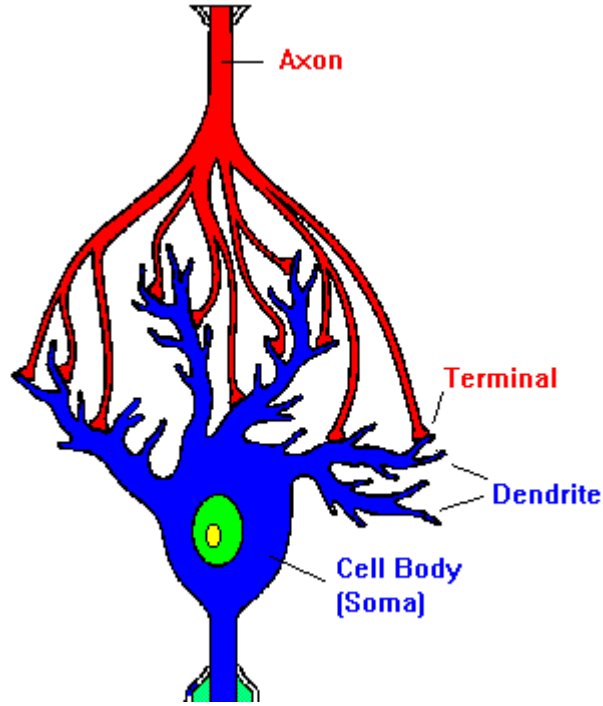
1- كلما قرأت كلما تحسّنت قراءتك. وكلما تحسّنت قراءتك كلما أحببتها. وكلما أحببتها كلما قرأت أكثر. فالرحلة إذن دائرية تبدأ بالقراءة وتعود إليها كما هو مبين أدناه.



2- كلما قرأت كلما زادت معارفك. وكلما زادت معارفك صرت أذكى.

ومما يذكره خبراء أبحاث الدماغ أننا جميعاً نولد بما يقارب الألفي وخمسمائة خلية من الخلايا العصبية ويصبح عددها خمس عشرة ألفاً عند الثالثة من العمر وينخفض هذا العدد الى النصف عند البالغين. وهذه الخلايا العصبية تحتاج إلى قرح وإلى أن تتواصل وتتشعب وتتشابك وهذا التشعب والتشابك أو عدمه يعرف بعمليتي التشذيب والتشجير. أما التشجير فهو عملية التشابك والتشعب (كما هو موضّح في الصورة أدناه) والذي ينشأ عن التجارب التعليمية والحسية والعاطفية الايجابية في حياة الأطفال من عمر 0 الى 5 ومن هذه التجارب يذكر العلماء تحديداً القراءة والعلاقة الأمومية والرعاية الجيدة واللعب والمكان الآمن والصحيّ. هذه الأمور لو توقّرت جميعها للطفل منذ الولادة وحتى الخامسة من العمر فإنّ التشعبات في الخلايا العصبية تكثر وتتشجّر وكأنها شبكة اتصالات أو أسلاك الهاتف في الحقيقة مما يؤدي الى ذهن متوقّد وقابل للتعلّم. أمّا لو كان الطفل في بيئة لا قراءة فيها ولا لعب ولا علاقة أمومية جيدة ولا مكان آمن (وما أكثرها في عالمنا) فتكون تلك التشعبات عرضة للضمور والاضمحلال ويتخلص من الخلايا العصبية الضعيفة بواسطة عملية التشذيب ممّا يؤدي في كثير من الحالات إلى بطء ذهني وصعوبات التعلّم. ومن ناحية تربوية فاننا عندما نقرأ لأطفالنا ومعهم فإنّنا نتقرّب منهم ونمضي معهم وقتاً مميّزاً. فترتبط في الدماغ القراءة بالمتعة وبالقرب من هؤلاء الكبار في المنزل الذين يحبهم الطفل وبالتالي يسعى عندها الطفل إلى تكرار هذه العملية لأن الانسان بطبعه مجبول على السعي إلى كلّ ما يسعده ويمتعه والهروب من كلّ ما يؤلمه. ولو وصلنا الى جعل القراءة متعة عند الأطفال نكون قد أوجدنا "صمغاً" لجذب انتباه الأطفال إلى القراءة ومعانيها.





القراءة في مدارس العالم العربي؟

في معظم مدارس العالم العربي الحكومية وفي الكثير الكثير من مدارس الخاصة تدرّس القراءة من خلال كتب القراءة التي توّقرها وزارات التربية والتعليم لتلك المدارس أو من خلال كتب مدرسية أخرى تسمى غالبا "كتب أو كتاب القراءة". وفي مسح لكتب القراءة تلك (طه – تامير 2009) نجد أنّ كتب القراءة تضمّ نصوصا وشبه نصوص قد ألفها من ألف تلك الكتب وتشتمل على مواضيع يختلف عمقها وتفصيلها وطولها فنتراوح من نص مؤلف من كلمات وجمل الى نصوص في المراحل الأعلى مؤلفة من فقرات الى نصوص أخرى قد تكون من صفحتين الى ثلاث على الأكثر. وتشتمل المواضيع في كتب القراءة على عناوين كالعائلة والمدرسة والبيئة والحيوانات والقصص الشعبي الأساطير المكتوبة بتصوّف إضافة إلى شيء من الأناشيد والقصائد. وهناك كتب قراءة أخرى تعتمد نصوصها على مقاطع وأجزاء مأخوذة من كتب أدب الأطفال والناشئة والروايات كاستخدام مقطع مقتضب من كتاب "الأيام" لطفه حسين أو مقطع صغير جدا من "سوانح فتاة" لمي زيادة وهكذا.

وفي دراسة قامت بها الدكتورة هنادا طه - تامير لأكثر من مائة وخمسين صفّ لغة عربية لاحظت الباحثة الخصائص التالية عند تعليم القراءة:

1- تشيع عند الغالبية العظمى من المدرّسين مقولة: "يجب أن ننهي الكتاب" وإلا عوقبنا من قبل الوزارة. وعندما سألت الباحثة الوزارة ردّت بقولها بأنّ انهاء الكتاب غير ضروري. فما المشكلة هنا إذن؟ المشكلة في الحقيقة تكمن في منظورنا كمجتمع وكأمة الى التعليم عموماً وإلى القراءة خصوصاً. فالتعليم في معظم المدارس مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالكتاب ويعتقد الكثيرون بأن الكتاب هو المنهاج المدرسي وبالتالي فعندما تفرض المدرسة أو الوزارات كتاباً معيناً يسمّى "المنهاج المدرسي أو المقرّر" فإننا بذلك نكون قد أعطينا الأستاذ أقرب وأسهل وأسرع الطرق للفشل. المنهاج المدرسي يجب أن يتضمن: معايير تدريس اللغة العربية وعلامات التقدّم ومؤشرات الأداء. هذه المعايير توضح للمدارس الطرح العام والفلسفة العامة من تعلم اللغة العربية مثلاً في الصف الابتدائي السّادس وتأتي علامات التقدّم ومؤشرات الأداء فتفصّل المهارات والكفايات الواجب على الطالب اكتسابها وكيفية تقويمها وتقييمها. بعد أن يتقن المدرس ويفهم ويعرف دقائق هذه المعايير ويسبر غورها عندها يستطيع الاستعانة بالمصادر وبالكتب المناسبة والتي تخدم المعايير التي سيعمل عليها مع طلابه خلال السنة الدراسية كاملة. وبالتالي يصبح الكتاب آخر تفصيل من تفاصيل العملية الصفية والقرائية واللغوية وليس البداية والنهاية كما هو الحال في معظم المدارس.

2- الملاحظ في تعليم القراءة العربية استخدام نوع ونصف فقط من أنواع القراءة الأربعة. فأنواع القراءة هي: القراءة الجهرية والمشاركة والموجهة والمستقلة.

أما القراءة الجهرية فهي أن يقرأ المدرّس للطلاب قراءة سليمة ويومية من كتاب من كتب أدب الأطفال وليس من الكتاب المدرسي المقرّر. فيتعرّفون بهذه الطريقة الى الأنواع الأدبية المختلفة وإلى الأساليب الكتابية المتنوعة وإلى الكتاب العرب. وهذا حقيقة لم أجده البتة في كلّ زياراتي الصفية والحجة دائماً كانت "أن لا وقت لدينا للقراءة!"

وهناك القراءة الجهرية التي يمارسها الأطفال وتكثر في مدارسنا وفي صفوف اللغة العربية حيث يكرّر الطلاب قراءة درس من دروس القراءة تكراراً يؤدّي إلى حفظ النّص بأكمله وهذا طبعا غير محبّب تربوياً.

أما القراءة المشتركة فتكون للأناشيد والأشعار القصيرة التي يردّها الطلاب سويًا كلّ يوم لمدة أسبوع أو ما شابه وتساعدهم على اكتساب الجرس الموسيقي للغة وعلى حفظ بعض الأناشيد. وهذا النوع من القراءة شائع الاستخدام في المدارس ومرحّب به تربويًا.

أما القراءة الموجهة فهي القراءة التي يقسم فيها الطلاب إلى مجموعات صغيرة بحسب القدرة القرائية المقاسة بامتحانات تقويم معينة حيث تقرأ كلّ مجموعة مرة في الأسبوع في زاوية من زوايا غرفة الصف كتابا في أدب الأطفال مناسباً لمستوى الطلاب القرائي فيها ويتناقشون في معانيه مع المدرسة بينما يعمل باقي الطلاب في غرفة الصف على أعمال أخرى لغوية. وهذا النوع لم أجده البتة في أيّ من صفوف اللغة العربية التي زرتها ولم يسمع به أيّ من المدرّسين من قبل.

أمّا القراءة المستقلة والتي هي الغاية الأسمى والأهمّ من القراءة هي أن يقرأ الطالب قراءة مستقلة (وحده) كلّ في داخل غرفة الصف حيث تخصّص المدرسة ككلّ 20 دقيقة يترك فيها الطلاب كلّ شيء ويقرأون في كتاب من كتب الأطفال مناسباً لمستواهم القرائي ويحتفظون بسجل قرائي يدوّنون في عنوان الكتاب الذي قرأوه واسم الكاتب وعدد الصفحات المقرّوة ويكتبون كذلك جملة تعبّر عن رأيهم في شخصية من الشخصيات أو يكتبون جملة عن أكثر ما أعجبهم في الكتاب. وهذا النوع لم أجده مطبقاً إلا نادراً وتطبيقه يبقى غير مستمر بحيث يطبق مرة أو مرتين في الشهر ويهمل إلى الشهر الذي يليه.

لهذا ذكرت في أعلى نقطة 2 أننا ننقذ فقط نوعاً ونصف من أنواع القراءة: ما يشبه القراءة الجهرية والقراءة المشتركة.

3- يلاحظ أيضا في المدارس وفي صفوف اللغة العربية وغيرها من المواد غياب تامّ للكتب غير المدرسية وللكتب غير المقرّرة فلا كتب أدب أطفال تملأ الصفوف ورفوفها ولا مجلات ولا روايات ولا قصصاً ولا معاجم ولا مصادر وإن وجدت بعض الكتب فتكون عطية أو هبة أو تبرّعا من بعض أولياء الأمور والمدرّسين وكثيرا ما تكون مهترئة، وقديمة، وممزّقة وباهتة. أحبّ أن أقارن الكتب على اختلافها بالحلوى والشوكولاتة إن رأيتهما وكانت موجودة أمامك فعبثاً مقاومتها ولا بدّ أنك أكلتها.

والكتب كذلك ان حوصرنا بها في كلّ مكان في غرفة الصف وفي البيت وفي السيارة فلا بدّ من أن يجذبنا ويجذب طلابنا عنوان من العناوين أو غلاف من الأغلفة فيكون ذلك سبيلاً الى القراءة.

هل القراءة عادة أم سمة؟

القراءة عادة وليست سمة من السمات. إنها تكونّ عوض عن أن تتكوّن وتصلق عوض عن أن تكتشف اكتشافاً عند أيّ منّا. القراءة عادة كعادة شرب فنجان قهوة كلّ صباح وكعادة قول " أوكي" بالانكليزية إثر كلّ جملة يتفوّه شبابنا بها وكعادة تشغيل التلفاز فور الوصول الى البيت. القراءة في الحقيقة لا تختلف عن كلّ العادات الأخرى التي ذكرتها ولم أذكرها. المشكلة الوحيدة هي أنّها عادة لم يكتسبها معظمنا ولن يكتسبها بغضّ النظر عن المؤتمرات المعقودة وأوراق البحث المكتوبة وحركات الاصلاح المطروحة إلا إذا انغمسنا فيها ومارسناها.

ما الحل؟

بحسب كيفن ايكنبري (2009) فإنّ هناك عشر خطوات لتكريس عادة القراءة فينا. هذه الخطوات هي:

1) أن نحيط أنفسنا بالكتب بحيث نضع كتباً للكبار وللصغار يحبّون قراءتها في كلّ غرفة من غرف البيت (في غرفة النوم وفي المطبخ وفي غرفة العائلة وفي الحمام) وفي السيارة وفي حقائب الحاسوب التي نحملها حتى يتأتى لنا أن نقرأ في أيّة لحظة فراغ لدينا.

أنا شخصياً كنت أضع الكتب خلسة في صناديق ألعاب أطفالي فيجدونها أثناء بحثهم عن لعبة مفضّلة فتجذبهم الصور الجذابة في الكتاب ثم يقرّرون القراءة عوضاً عن اللعب.

2) ضع هدفاً قرائياً من حيث عدد الكتب التي تودّ قراءتها خلال السنة. يتفق الخبراء على أنّ القارئ الجيد هو الذي يقرأ ما يقارب العشر كتب سنوياً أو أكثر. من الممكن البدء بهدف متواضع أولاً. كقراءة خمسة كتب سنوياً وزيادة عدد الكتب المتوقع قراءتها كلّما تكرّست وتجدّرت عادة القراءة فينا.

3) ضع كلّ العناوين التي تقرأها في سجل للقراءة تحتفظ به على مدار السنة فتتكوّن لديك فكرة عن الوقت الذي استغرقتة قراءة تلك العناوين كما من الممكن من خلال هذا السجل مقارنة عدد الكتب المقروءة من سنة الى أخرى.

4) أكتب عناوين الكتب التي ترغب بقراءتها مستقبلاً في نفس السجل وتلك الكتب التي تكتب عنها الصحف والمجلات وغيرها من وسائل الاعلام. كما من الممكن أن تسأل أصدقاءك عن الكتب التي يقرأون ورأيهم فيها.

5) لا تشغّل التلفاز. التلفاز هو من أكثر أدوات إضاعة الوقت في حياتنا اليوم وفي حياة أطفالنا وهو من أكثر العادات سلبية واستحواداً على الانتباه حيث تحدر نقابة أطباء الأطفال الأمريكية من أنّ مشاهدة التلفاز لأكثر من ساعة يومياً قد تؤدي إلى إصابة الأطفال باضطرابات نقص الانتباه.

6) استمع (إذا توفرت الكتب الصوتية) الى كتاب عوض قراءته وخاصة أثناء تنقلك في السيارة من مكان الى آخر. هذه الأنواع من الكتب يقل توفرها باللغة العربية إجمالاً.

7) انضم الى نادي للكتاب يقرأ أعضاؤه كتاباً يختارونه شهرياً ويلتقون لمناقشته بشكل ندوة أو لقاء في مقهى وهكذا.

8) أكثر من زيارتك للمكتبات العامة والتجارية وحاول أن تجد تلك العناوين التي سمعت بأنها جيدة أو قرأت عنها في مجلة أو صحيفة. إنّ تعويد الأطفال والناشئة على زيارة المكتبات وقضاء حوالي الساعة هناك سيساعدهم على تكريس عادة استعارة أو شراء الكتب وقراءتها.

9) أفسح للقراءة مكاناً في برنامجك اليومي إمّا صباحاً أو في فترة ما بعد الظهر أو قبل النوم مباشرة أو في أيّ وقت يناسبك وقرأ لمدة 30 دقيقة على الأقل. من غير الضروري قراءة كلّ كلمة في الكتاب الذي بين يديك فمن الممكن أن تقرأ بسرعة أو أن تقفز بين الصفحات مهملًا الأوصاف الطويلة أو السرد الممل.

10) أترك كل شيء من يدك واقراً. أهمل التلفاز والهاتف الجوال والحاسوب والأصدقاء يومياً لنصف ساعة فقط ولتقرأ العائلة كلها كل في كتاب يلائم اهتماماته وستجد بعد أسبوعين أو أقل من البدء بهذا النشاط كيف ستصبح القراءة عادة.

من المسؤول؟

إنّ مسؤولية خلق أمة قارئة لهي مسؤولية مشتركة تتحملها الأمة كلها. فليست الحكومات وحدها مولجة بخلق شعوب قارئة بل البيت والأهل والمدرسة والمؤسسات الثقافية ورجال ونساء الأعمال والحكومات والمجتمع يشتركون في تحمّل المسؤولية. وكوننا حالياً أمة لا تقرأ قد يكون سببه انعدام الشراكة بين تلك العناصر.

أ- **البيت:** على الأهل في البيت القراءة لأطفالهم بشكل يومي وإحاطتهم بالكتب والمجلات ووضعها في كلّ غرفة من غرف البيت ودسّها بين الألعاب. كما على الأهل عدم تشغيل التلفاز إلا لمدة نصف ساعة فقط لا أكثر. ويحدّر أطباء الأطفال من مشاهدة التلفاز لمن هم دون الثالثة من العمر ذلك أنّ الأطر الفانقة السرعة والتي تميّز عروض التلفاز والألعاب الالكترونية وألعاب الكمبيوتر تؤدي الى إثارة الدماغ إثارة غير طبيعية مما قد يضعف قدرة الطفل على التركيز والانتباه والتذكّر في المدرسة. وعلى هذا فينصح بعدم تشغيل التلفاز إلا لفترات مقتضبة جداً لمن هم في الرابعة من العمر فما فوق وتعيين وقت للقراءة يومياً يقرأ فيه الجميع لمدة نصف ساعة على الأقل. وبهذا يكون الأهل في البيت قد خلقوا بذرة الأمة القارئة.

ب- **المدرسة:** سيكون من الصعب بمكان على أمتنا النهوض والمنافسة ووضع نفسها ثانية على خارطة العلم والثقافة إن لم يكرّس إصلاح التعليم وبخاصة اصلاح تعليم اللغة العربية والقراءة فيها. والاصلاح لا يكون بإسقاط التغييرات والمحسّنات إسقاطاً من قبل فرق عمل أجنبية بالكامل لا ندرک ماهية مشكلاتنا التربوية وعمقها وتاريخها. لا بدّ من شراكة أجنبية عربية هنا تبدأ من حاجات المدرّس والطالب. وليس مقبولاً أن يكون الإصلاح بنتهييت ألواح ذكية في المدارس وفرض مناهج جديدة ومختلفة على المدرّسين. على الاصلاح أن يكون أكثر عمقا وأن يركّز على تطوير الموارد البشرية أوّلاً وعلى إكساب المدرّسين وإدارات المدارس والأقسام المختلفة في وزارات التربية

المهنية والنظرة الجادة التي تستحقها مهنة التعليم وتوفير الموارد المادية لذلك. وعلى المدارس تخصيص عشرين دقيقة أو أكثر يوميا يترك الطلاب فيها كل شيء ويقرأون جزءاً من كتاب من كتب أدب الأطفال أو جزءاً من رواية أو قصة أو مجلة. القراءة لا تتركس ولا تتحسن إلا بالقراءة كما أن من يعزف البيانو لا يجيده إلا إذا تمرّن يوميا لمدة عشرين دقيقة أو أكثر على عزف المقطوعة التي يدرسها.

ج- **المؤسسات الثقافية:** للثقافة وجوه عديدة كالموسيقى والغناء والرسم والأدب لكنها جميعها تحتاج الى الكلمة الواعية والعميقة وذات المعنى. فمعظم الأغاني السائدة اليوم مثلا تعكس كلماتها الوضع أو القعر الثقافي والقرائي الذي غرقنا به. والملاحظ أنّ الأغاني ذات العمق وطبقات المعاني هي أغان قد كتبها وألفها شعراء قضوا جزءا كبيرا من حياتهم في القراءة كأمثال: نزار قباني وأغاني كاظم الساهر. وتستطيع المؤسسات الثقافية مثلاً أن ترعى وتنظم لقاءات شهرية مع كتاب أدب الأطفال وغيرهم حيث يقرأون للأطفال بأنفسهم شيئا من كتبهم ويناقشونهم فيها. وحيث تنظم معارض للكتاب بأسعار مخفضة ومكان مخصّص للقراءة يجلس فيه الأطفال والكبار لاستعراض بعض الكتب وقراءة بعض صفحاتها قراءة سريعة قبل شرائها.

د- **رجال ونساء الأعمال:** لا بدّ لأيّ رجل وامرأة أعمال ناجحة من العمل مع موظفين يقرأون بسرعة ويفهمون ويحللون ما يقرأون بدون الرجوع الى مسؤوليهم للتوضيح ولإعادة التوضيح. إن كان هذا العمل في أسواق المال أو في المصارف أم في المقاولات وغيرها. وبالتالي فإنّ لرجال ونساء الأعمال مصلحة أساسية في دعم القراءة وتشجيعها والتبرع المادي بالكثير الكثير لإنشاء مكتبات عامة، وللتبرّع بمكتبات صافية ومدرسية للمدارس، ولرعاية مسابقات تشجع على القراءة، ولرعاية الكتاب والباحثين والمدرسين. فأصحاب الأعمال إذ يستثمرون جزءاً من تبرّعاتهم وزكاة أو صدقة أموالهم في تشجيع القراءة إنما هم يستثمرون في مستقبل الأمة ويكونون سبباً من أسباب النهوض مستقبلاً.

هـ- **الحكومة:** للحكومات دور لا يستهان به في تكريس القراءة وتطبيع الشعوب على جعلها عادة من العادات التي تعيش مدى الحياة. ويكون دور الحكومات والوزارات بأن تخصص ميزانيات ضخمة تفرد لتشجيع القراءة ولشراء مكتبة صافية لكلّ صف من الصفوف وتبني طرق التعليم التي تنظر إلى

القراءة على أنها حجر الأساس في إعداد الطلاب والمدرّسين. كما يقع على مسؤولية الحكومة والوزارات تطوير الرأي العام من خلال التلفاز والدعايات والاعلانات المتعلقة بالقراءة وبالكتب الجديدة وأن تکرّم الكتاب والطلاب الذين يبرعون في القراءة بشكل مستمرّ.

خاتمة

القراءة في عالمنا العربي حالياً كالغول الذي نخشاه ونبتعد عنه ونخيف الأطفال منه وبه. ولو أننا لعشر سنوات مقبلة استثمرنا بشكل جادّ في كلّ ما يتعلّق بالقراءة من دور نشر وكتاب وتوفير الكتب للمدارس وللأطفال وللکبار ولو أننا أطلقنا حملات قراءة وطنية تستمر طوال السنة كلها ولو أننا جميعاً بذلنا نصف ساعة من وقتنا يومياً للقراءة فإنّ القراءة سوف تصبح عادة عند معظم العرب بعد أقلّ من عشر سنوات من الان. وعليه فإنّ القراءة ستصبح بالفعل خلاً وفيّاً ينتشلنا من القعر الذي نعيشه وتكون القراءة سبباً في نهضة ثقافية واقتصادية وعلمية وفكرية لم نشهدها منذ قرون. هو طرح ومشروع أمّد به يدي للأفراد وللمدارس وللمؤسسات وللحكومات ولأصحاب الأعمال: عشر سنين من العمل الجادّ على تفعيل القراءة تحت عنوان: "القراءة، خلّ وفيّ".

المصادر:

- ايكنبري، كيفن (2009).
<http://ezinearticles.com/?Ten-Ways-to-Strengthen-Your-ReadingHabit&id=2080>
- شارون بيغلي (1992). تخريط الدماغ. مجلة نيوز ويك، أبريل 1992.
- شلالا، بيار (2009). التلفزيون أيضا وأيضا. جريدة النهار 13 أيلول 2009.
- غرايفز، مايكل، جول كوني، غرايفز بوني (2006). تعليم القراءة في القرن الحادي والعشرين. آلين وبايكون للنشر.
- غلادول، مالكولم (2005). بليتك. ليتل، براون وشركاه للنشر. نيويورك ولندن.
- طه -تامير، هنادا (2007). تقرير سكولاستك عن مروع مكتبتي العربية.
- فونتاس، أيرين وبيبل، غي (2005). القراءة الموجهة لكلّ الأطفال. هاينمان للنشر، نيو هامبشاير.
- كونيغزبرغ، اي.ل. (1994). الصورة الكبيرة والانفجار الكبير والكتاب الذي بين يديك. مجلة بريغام يونغ، مايو 1994.
- لا طفل مهمل (2001). وزارة التربية والتعليم في الولايات المتحدة الأمريكية.
- ويجنز، جرانت وماكتاي، جاي (2005). الفهم عن طريق التخطيط. دار الكتاب التربوي للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية.